كتابان سياسيان

للحكيم الاسلامي السيد جمال الدين الافغاني (١)

الاول أرسله من البصرة الى رئيس المجتهدين في السامرة (سرّ من رأى) وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية أينما وجدت، وحيثما حلت ، وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحققت بها، وقامت بواجب شؤونها، كيفما نشأت ،وفي أي قطر نبغت ،الا وهم العلماء فأحببت عرضه على الكل وان كان عنوانه خاصاً ،

حبر الأمة ، و بارقة أنوار الأئمة ، دعامة عرش الدين ، واللسان الناطق عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة الاسلام ورد كيد الزنادقة اللئام

لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى واختارك من العصابة الحقة وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الغراء وحراسة حقوقها بها وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها وأحال اليك من بين الأنام (وأنت وارث الانبياء) مهام أمور تسعد بها الملة في دارها الدنيا وتحظى بالعقبى ورضم تلك أريكة الرئاسة العامة على الأفئدة والنهى اقامة لدعامة العدل واثارة لمحجة الهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والذود عنها والشهادة دونها على سنن من مضي

(*) منقولان من ترجمته في الجزء الأول من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن

وان الأمة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضيعها وعاليها قد أذعنت لك بهذه الرئاسة السامية الربانية جاثية على الركب خاشعة على الاذقان تطمح نفوسها اليك في كل حادثة تعروها تطل بصائرها عليك في كل مصيبة تمسها وهي ترى ان خيرها وسعدها منك وان فوزها ونجاتها بك وان أمنها وأمانيها فيك

فاذا لمح منك غض طرف ، أو نبت (١) بجانبك لحظة ، وأمهلتها وشأنها لمحة ، ارتجفت أفئدتها ، واختلت مشاعرها ، وانتكثت عقائدها ، وانهدمت دعائم ايمانها ، ثم لا برهان للعامة فيما دانوا ، الا استقامة الخاصة فيما أمروا ، فان وهن هؤلاء في فريضة ، أو قعد بهم الضعف عن اماطة منكر ، لا عتور أولئك الظنون والاوهام ، ونكص كل على عقبيه مارقا من الدين القويم ، حائدا عن الصراط المستقيم . .

وبعد هذا وذاك وذاك أقول ان الأمة الايرانية بما دهمها من عراقيل الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتطاول الأجانب على حقوق المسلمين ، ووجوم الحجة الحق (ايالك أعني) عن القيام بناصرها وهو حامل الامانة ، والمسؤول عنها يوم القيامة ، قد طارت نفوسها شعاعا ، وطاشت عقولها ، وتاهت أفكارها ووقفت موقف الحيرة (وهي بين انكار واذعان وجحود وايقان) لا تهتدي سبيلا ، وهامت في بيداء الهواجس في عتمة الوساوس ، ضالة عن رشدها لا تجد اليه دليلا ، وأخذ القنوط بمجامع قلوبها ، وسد دونها أبواب رجائها ، وكادت ان تختار ايأسا منها الضلالة على الهدى ، وتمرض عن محجة الحق وتتبع الهوى ، وان آحاد الأمة لا يزالون يتساءلون شاخصة أبصارهم عن أسباب قضت على حجة الاسلام (ايالك أعني) بالسبات والسكوت ، وحتم عليه ان يطوي الكشح عن إقامة الدين على أساطينه ، واضطره الى ترك الشريعة وأهلها ، الى أيدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون ، ويحكمون فيها بما يشاؤن ، حتى ان جماعة من الضعفاء زعموا أن قد كذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء ،

(١) كذا في الاصل والبيت هو التمايل من ضعف وفعله كمال يكيل

وحسبوا الامر أحبولة الحاذق، وأسطورة المذق، وذلك لانها ترى (وهو الواقع) ان لك الكلمة الجامعة، والحجة الساطعة، وان أمرك في الكل نافذ، وليس لملكك في الامة منابذ، وانك لو أردت تجمع آحاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة تنبثق من كيان الحق الى صدور أهله) فترهب بها عدو الله وعدوهم، وتكفف غضوم شر الزنادقة، وتزيح ماحاق بهم من المحنت والشقاء، وتفشلهم من ضنك العيش الى ماهو أرغد وأهنى، فيصير الدين بأهله منيعا حريزا، والاسلام بحوزته وفيء المقام عزيزا،

هذا هو الحق. انك رأس العصابة المحقة (١)، وانك الروح الساري في آحاد الأمة، فلا يقوم لهم قائم الا بك، ولا تجتمع كلمتهم الا عليك، فوقت بالحق نهضوا جميعا ولهم الكلمة العليا، ولو قعدت ثبطوا، وصارت كلمتهم هي السفلى، ولربما كان هذا السير والدوران حينما غض حبر الأمة طرفه عن شؤونهم، وتركهم هملا بلا راع، وهمجا بلا رادع ولا داع، يقيم لهم عذرا فيما ارتابوا. خصوصا لما رأوا أن حجة الاسلام قد وفى فيما أطبقت الامة خاصتها وعامتها على وجوبه، وأجمعت على حظر الاتقاء فيه (٢) خشية لغوبه، الا وهو حفظ حوزة الاسلام الذي به بعد الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم والسعادة التامة. ومن يكون أليق بهذه وأحرى بها من اصطفاه الله في القرن الرابع عشر، وجعله برهانا لدينه وحجة على البشر،

أيها الحبر الأعظم، ان الملك قد وهنت سريرته، فسادت سيرته، وضعفت مشاعره فقبحت سريرته، وعجز عن سياسة البلاد، وادارة مصالح العباد، فجعل زمام الامور كلها وجزئياتها بيد زنديق أثيم، غشوم ثم بعد ذلك زنيم.. يسب الانبياء في المحافل جهرا، ولا يذعن لشريعة الله أمرا، ولا يرعى لرؤساء الدين وقرا، يشتم العلماء، ويقذف الاتقياء، ويهين السادة الكرام، ويعامل الوعاظ معاملة اللئام، وانه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد خلع العذار، وتهاتر بشرب الخمار، وموالاة الكفار، ومعاداة الأبرار، هذه هي أفعاله الخاصة في نفسه..، ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الايرانية ومنافعها لأعداء الدين — الملاحدة،

(١) الحقة الثابتة الحقوية والمراد طائفة العلماء لا سيما المجتهدين منهم (٢) الاتقاء التقية

والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين تخوم البلاد ، والخانات التي تبنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تتشعب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول . . نهر الكارون والقناديق التي تنشأ على ضفتيه الى المنبع وما يستتبعها من المجاثن والمروج . . والجادة من الاهواز الى طهران وما على أطرافها من العمارات والقناديق والبساتين والحقول . . والقنوات وما يتبعه من المراكز ومحلات الحرث وبيوت المستحفظين والعاملين والباشين أي وجد وحيث ثبت ، وحكر العنب للخمور وما تستلزمه من الدوانيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد ، والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المعامل ، والبنك وما أدراك ما البنك هو اعطاء زمام الأهالي كلية بيد عدو الاسلام واسترقاقه لهم واستغلاله اياهم وتسليمهم له بالرئاسة والسلطان .

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي العامة براهين فحبق قائلا ان هذه معاهدات زمانية ، ومقاولات وقتية لا تطول مدتها أزيد من مائة سنة !! بالله من هذا البرهان الذي سوله خرق الخائنين ، وعرض الجزء الباقي على الدولة الروسية حقا لسكوتها (لو سكتت) من داب رشت وأنهر الطبرستان والجادة من أنزلي الى الخراسان وما يتعلق بها من الدور والقناديق والحقول . . . ولكن الدولة الروسية شمخت بأنفها وأعرضت عن قبول تلك الهدية ، وهي عازمة على استغلال الخراسان والاستيلاء على الاذربيجان والمازندران ان لم تحل هذه المعاهدات ولم تنفسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاك العدو الالد ، هذه هي النتيجة الاولى لسياسة هذا الاخرق .

وبالجملة ان هذا المجرم قد عرض قطاع البلاد الايرانية على الدول بيع المزاد، وانه يبيع ممالك الاسلام ودور محمد وآله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لخسة طبعه ودناءة فطرته لا يبيعها الا بقيمة زهيدة ودراهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت القتامة والشره بالخيانة والسفه)

وانك أيها المجتهد ان لم تقم بنامر هذه الأمة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرع من يد هذا الأثيم لاصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الأجانب (يحكمون

فيها بما يشاؤن ويفعلون ما يريدون) ، واذا فاتتك هذه الفرصة أيها الحبر ووقع الامر وأنت حي لما أبقيت ذكرا جميلا بعدك في صحيفة العالم وأوراق التواريخ... وأنت تعلم أن علماء الايران كافة والعامة بأجمعهم ينتظرون منك (وقد حرجت صدورهم وضاقت قلوبهم) كلمة واحدة ويرون سعادتهم بها ونجاتهم فيها . . . ومن خصه الله بقوة كهذه كيف يسوغ له أن يفرط فيها ويتركها سدى ،

ثم أقول للحجة قول خبير بصير ان الدولة العثمانية تتبجح بنهضتك على هذا الامر وتساعدك عليه لانها تعلم أن مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها تجلب الضرر الى بلادها لامحالة ، وان وزراء الايران وأمراءها كلهم يتهجمون بكلمة تنبس بها في هذا الشأن لانهم بأجمعهم يعارضون هذه المستحدثات طبعاً ، ويسخطون من هذه المقاولات جملة ، ويجدون بنهضتك مجالا لابطالها ، وفرصة لكف شر الشره الذي رضي بها وقضى عليها ،

ثم ان العلماء وان كان كلٌّ صدع بالحق وجبه هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن ردعهم للزور وزجرهم عن الخيانة ونهوم المجرمين ما فرت كسلسلة المعدات قرارا ، ولا جمعتها وحدة المقصد في زمان واحد ،

وهؤلاء لتماثلهم في مدارج العلوم ونشأتهم في الرئاسة وتساويهم في الرتب غالباً عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض ولا يصير أحد منهم لصفاً الآخر ولا يتم بينهم تأثير الجذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره ، وكل يدرع الزور وهو في مركزه (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المكر والبغي) . وأنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت من الدرجة السامية والمنزلة الرفيعة علة فعالة في نفوسهم ، وقوة جامعة لقلوبهم ، وبك تنضم القوى المتفرقة الشاردة ، وتلتئم القدر المتشتتة الشاذة ، وان كلمة منك تأتي بوحدانية تامة يحق لها أن تدفع الشر المحدق بالبلاد ، وتحفظ حوزة الدين وتصون بيضة الاسلام . . . . فالكل منك وبك واليك . . وأنت المسؤول عن الكل عند الله وعند الناس

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته قد قاموا

من ذلك العقل شدائد ما سبق متذكرون لها مثيل ، وتحملوا لصيانة بلاد المسلمين من الضياع وحفظ حقوقهم عن التلف كل هوان وكل صغار وكل فضيحة .

ولا شك أن خبر الامة قد سمع ما فعله أدلاء الكفر وأعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدربندي . وسيسمع قريباً ما صنعه الجفاة الطغاة بالعالم المجتهد التقي البار الحاج السيد علي أكبر الشيرازي وسنحيط علما بما فعله بحماة الملة والامة من قتل وضرب وكي وحبس . ومن جملتهم الشاب الصالح الميرزا محمد رضا الكرماني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاريب النجيب الميرزا محمد علي خان والفاضل المتفنن اعتماد السلطنة وغيرهم .

وأما قصتي وما فعله ذلك الكنود الظلوم معي ، فما يفتت أكباد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوي الايقان ، ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الاوثان ، ان ذلك الاثيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام في شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة لا يمكن أن يتصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) « انا لله وانا اليه راجعون »

ثم حملني زبانيته الاوغاد وأنا مريض على برذون مسلما لي فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقني جحفلة من الفرسان الى خانقين وصحبني جمع من الشرط . . . ولقد كاتب الوالي من قبل والتمس منه أن يعيدني الى البصرة علما منه أنه لو تركني ونفسي لانبتك أيها الخبر وبثثت لك شأنه وشأن الامة وشرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق ، ودعوتك أيها الحجة الى عون الدين ، وحملتك على إغاثة المسلمين ، . . وكان على يقين اني لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبقى على دست وزارته الموءسسة على خراب البلاد ، وهلاك العباد ، واعلاء كلمة الكفر . . . . . ومما زاده لوعا على لوعه ودناءة على دناءته أنه دفع الثورة العامة وتسكينا لهياج الناس نسب تلك المصائب التي ساقتها غيرة الدين وحمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البابية . . كما أشاع بين الناس أولاً (قطع الله لسانه) أني كنت غير

مخنون (وا إسلاماه) ما هذا الضعف؟ ما هذا الوهن ؟ كيف أمكن أن صعلوكاً دنيء النسب، ووغداً خسيس الحسب، قدران يبيع المسلمين وبلادهم بثمن بخس دراهم معدودة ويزدري بالعلماء وبين السلالة المصطفوية وبيوت السادة المرتضوية البهتان العظيم ، ولا يد قادرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء لغيظ المؤمنين ، وانتقاما لآل سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام .

ثم لما رأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرة العالية أمسكت عن بث الشكوى ..... ولما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر الى البصرة طلب مني ان اكتب الى الحبر الاعظم كتاباً أبث فيه هذه الفواجع والحوادث والكوارث فبادرت اليه امتثالاً ، وعلمت أن الله تعالى سيحدث بعدك أمراً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الحسيني

....

(يقول محمد رشيد) إن هذا الكتاب نفخ روح الحماسة والغيرة في ذلك العالم العظيم صاحب النفوذ الروحي في الامة الفارسية فأفتى بحرمة استعمال التنباك وزراعته واذاع العلماء فتواه بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتى قيل ان الشاه طلب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوى الى طهران النارجيله (الشيشة) فقيل له انه ليس في القصر تنباك لاننا اتلفناه فسأل عن السبب مبهوتا فقيل له: فتوى حجة الاسلام : فقال لم لم تستأذنوني ؟ قيل انها مسألة دينية لا حاجة فيها الى الاستئذان !! واضطر بعد ذلك الى ترضية الشركة الانكليزية على أن تأخذ نصف مليون جنيه وتبطل الامتياز . وبهذا انقذ السيد جمال الدين بلاد ايران من احتلال الانكليز لها بابطال مقدمته وهو ذلك الامتياز أو الامتيازات التي قرأت شرحها في كتابه فهكذا تكون الرجال وهكذا تكون العلماء

هكذا هكذا والا فلا لا ليس كل الرجال تدعى رجالا

وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس اتم الظهور بما كان قلب نظام الحكومة وتحويلها عن الاستبداد المطلق الى الشورى . ولعل تلك الحادثة هي المنبه للاول للعلماء الى ان الامر في ايديهم . فالسيد جمال الدين على هذا هو

العامل الاول في هذا الانقلاب كما أنه سبب الانقلاب الذي حدث في مصر فان عمل جميعه كان اول سعي في مقاومة سلطة اسماعيل باشا وتقويضها وفي نفخ روح الاصلاح في توفيق باشا حتى واثق السيد وخاصته بأنه اذا آل الامر اليه ليؤسسن مجلس نواب وليعملن وليعملن . ولكن تداخل الجند في السياسة أفسد العمل بعد ذلك

ولم يكن نجاح العلماء بسعيه وارشاده في ابطال تداخل الاجانب في بلاد فارس هو المنبه وحده لكون سلطة العلماء والامة فوق سلطة الملوك بل كان تمام التنبيه قتل الشاه بعد ذلك وما قيل من ان قاتله من اتباع السيد جمال الدين

لم يكتف السيد بتحريض كبير المجتهدين وسائر العلماء على الشاه ووزيره ولا بنجاحه في تنبيههم له بل ذهب من البصرة الى أوربا وطفق يطعن فيهما بالقول والكتابة وقد أسس هناك مجلة شهرية تصدر بالفتين العربية والانكليزية باسم (ضياء الخافقين) أو سعى في تأسيسها وكان يكتب في كل عدد منها مقالة في أحوال فارس بتوقيعه المعروف (السيد) أو (السيد الحسيني) وكان الكلام في مصر من أهم مباحثها

وقد فضح في مقالاته عن بلاد فارس حكومتها وشاهها شر فضيحة حتى جاءه سفير العجم في لندره يستميله ويسترضيه ليكف عن الكلام والكتابة في ذلك وعرض عليه مالاً كثيراً فقال له السيد «لا أرضى الا أن تزهق روح الشاه ويقبر بطنه ويوضع في القبر» فكان هذا القول من الشبه على كون القاتل له من أتباع السيد . وانما نورد هنا بعض ما كتبه في ضياء الخافقين عن بلاد فارس تخليداً له في التاريخ وهاك ما كتبه في العدد الثاني محرضاً العلماء على خلع الشاه والقيام بشؤون الامة . وهذا العدد صدر في أول مارس (آذار) سنة ١٨٩٢

بلاد فارس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حملة القرآن ، وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ، ونصراء الشرع المبين ، جنود الله الغالبة في العالم ، وحجيجه الدامغة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي . وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي ، وجناب الحاج الميرزا أبي القاسم الكربلائي ، وجناب الحاج الميرزا جواد الأقا التبريزي ، وجناب الحاج السيد علي اكبر الشيرازي ، وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي ، وجناب الميرزا حسن الأشتياني . وجناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء ، وجناب الحاج آقا محسن العراقي ، وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني ، وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي . وسائر هداة الأمة . ونواب الأئمة من الاحبار العظام ، والعلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين ، وأرغم أنوف الزنادقة المتجبرين ، آمين

طالما تاقت الأمم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها وشرها . ولكم سولت لها امانيها خدعا تمكنها من الولوج في ارجائها وتمهد فيها سلطانها على غرة من اهلها تحاشيا من المقارعة التي تورث الضغائن فتبعث النفوس على الثورة كلما سنحت لها الفرص وقضت بها الفترات . ولكنها علمت ان بلوغ الارب والعلماء في عز سلطانهم ضرب من المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا ، والناس جميعا طوع يدهم يأتمرون كيفما أمروا ، ويقومون حيثما قاموا ، لامرد لقضائهم ، ولا دافع لحكمهم ، وانهم لا يزالون يدأبون في حفظ حوزة الاسلام لا تأخذهم فيه غفلة ، ولا تعروهم غرة ، ولا تميد بهم شهوة ، فخنست وهي تتحابص بهم الدوائر ، وتترقب الحوادث ، ايم الله إنها قد اصابت فيما رأت ، لان العامة لولا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لانجذبت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصا من هذه الدول الذليلة الجائرة الخرقى التي قد عدمت القوة ، وفقدت

النصفة، وانفت المجاملة، فلا حازت منها شرفا ، ولا صانت بها لنفسها حقا ، ولا انشرح منها صدرها فرحا .

ولقد كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة من الافرنج وبحت اسمها ، وطمست رسمها ،

إن سلاطين الهند وأمراء ماوراء النهر جدت في إذلال علماء الدين فعاد الوبال عليهم سنة الله في خلقه ... وان الافغانيين ماصانوا بلادهم عن أطماع الأجانب وما دفعوا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت في نصابها *

ولما تولى هذا الشاه (الحارية «١» الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا ويخفض شأنهم ويقلل نفوذ كلمتهم حبا بالاستبداد بباطل أوامره ونواهيه، وحرصا على توسيع دائرة ظالمه وجوره ، فطرد جمعا من البلاد بهوان ، ونهنه فرقة عن إقامة الشرع بصغار ، وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والخرق (طهران) وقهرها على الاقامة فيها بذل فخلاله الجو قهر العباد وأباد البلاد وتقلب في أطوار الفظائع وتجاهر بأنواع الشنائع وصرف في أهوائه الدنية وملاذه البهيمية مامصه من دماء الفقراء والمساكين عصرا ونزح من دموع الأرامل والأيتام قهرا (يا للاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغدا خسيسا ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه وهذا المارق ماقعد على دسته الا وقام بابادة الدين ومعاداة المسلمين وسياقة دناءة الأرومة وتذالة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيده *

فحسبت الأفرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الايرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذبون عن حوزة الاسلام قد زالت شوكتهم ونفد نفوذهم فهرع كل فاغراً فاه يبغي أن يسرط قطعة من تلك المملكة * فثار الحق وغضب على الباطل فدمغه فاذا هو زاهق وذل كل جبار عنيد .

(١) هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه سمها ونفسها وهي أخبث الافاعي

أقول الحق إنكم يا أيها القادة قد عظمتم الاسلام بعزمكم وأعليتم كلمته وملأتم القلوب من الرهبة والهيبة . وعلمت الأجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سياج البلاد ويدكم أزمة العباد ولكن قد عظم المطلب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جهرا للكسر وحرصا على الوصول الى الغاية وأزمعت على اغراء ذلك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة من البلاد . وأبانت له ان انفاذ الأوامر انما هو باقياد قواد الجيوش وان القواد لا يعصون العلماء أمرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاجتذاب المحكومة استعبادهم بقواد الأفرنج . وأرت ذلك البليد الخائن رآسة الشرطة وقيادة فوج (١) القزاق نموذجا (كنت واضرابه) . وان ذلك الزنديق وزملاءه في الالحاد يعبدون الآن في جلب قواد من الأجانب . والشاه بجنونه المطبق قد استحسن هذا وامتز به طربا

لعمر الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد العته والشره على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مناقرة

ياهداة الأمة انكم لو أهملتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وأمهلتموه على مرير جنونه وما أسرعتم بخلعه عن كرسي غيه لقضي الأمر فعسر العلاج وتعذر التدارك

أنتم نصراء الله في الارض . ولقد تعصمت بالشريعة الالهية نفوسكم عن أهواء دنية تبعث على الشقاق وتدعو الى النفاق ويئس الشيطان بقذفات الحق عن تفريق كلمتكم . فأنتم جميعا يد واحدة يذود بها الله عن صياصي دينه الحصينة ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة . وان النار كافة (الامن قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع أمركم . فلو أعلنتم خلع هذا (المارق) لأطاعكم الأمير والحقير وأذعن لحكمكم الغني والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الأزمان عيانا فلا أقيم برهانا) خصوصا وان الصدور قد حرجت وان القلوب قد تنفرت من هذه السلطنة القاسية الحمق التي ما سدت ثغورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزت كلمة الاسلام ولا أراحت رعا

(١) يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من العسكرية التي يطلق عليها الترك لفظ طابور (وصوابه بالعربية تابور) ويطلق عليها في مصر لفظ أورطة وهي أصح بنية

ماقلوب الأنام بل دمرت وأقوت وأفقرت وأذلت ثم بعد غلت وارتعت وأنها سحقت عظام المسلمين وعجنتها بدمائهم فعملت منها لبنات(١) بنت بها قصورها لشهواتها الدنية . هذه آثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة تصافحنا وتثبت يداها *

واذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبض بها لسان المحق غيرة على دينه) فلا ريب ان الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الميدان عن أوامركم الالهية ولا يسعه الا الخضوع بسنتكم عتبة الشريعة المحمدية كيف لا وهو يرى عيانا ما لكم من القوة الربانية التي تقلبون بها الطغاة عن كرسي غيها . وان العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولها وحامت حولكم هياما وصارت جميعا جندا لله وحزبا لاوليائه العلماء *

ولقد وهم من ظن ان خلع هذا (الطاغية) لا يمكن الا بهجمات العساكر وطلقات المدافع والقنابر . ليس الامر كذلك . لان عقيدة ايمانية قد رسخت في العقول ، وتمكنت من النفوس ، وهي ان الزاد على العلماء زاد على الله (هذا هو الحق وعليه المذهب) فاذا أعلنتم (بأحلة القرآن) حكم الله في هذا الغاصب الجائر وأبنتم أمره تعالى في حرمة إطاعته لانفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال ولا قتال *

ولقد أراكم الله في هذه الأيام إنما لجبته ما أولاكم من القوة التامة ، والقدرة الكاملة ، وكان الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل . اجتمعت النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون الذليل وهامانه الرذيل (مسألة التبانك) فعجبت الامم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذها وبهت الذي كفر . قوة ألهمها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام . فهل يجوز منكم اهمالها وهل يسوغ التفريط فيها ؟ حاشا ثم حاشا *

قد آن الوقت لاحياء مراسم الدين ، واعزاز المسلمين ، فاخلعوا هذا (الطاغية) قبل أن يفتك بكم ، ويهتك اعراضكم ، ويثلم سياج دينكم ، ليس عليكم الآن تعلموا

(١) جمع لبنة من الذهب التي يبنى به

على رؤوس الاشهاد حرية إطاعته فاذا يرى نفسه ذليلا فريداً ينفر منه بطانته وينفر منه حاشيته ويذبذه العساكر ويرجمه الأصاغر *

انكم يا أيها العلماء والذين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم. قد كسرتم قرن فرعون بعصا الحق وجدعتم أنف المحاربة بسيف الشرع فهو يتربص فرصاً تساعده على الانتقام شفاء لغيظه ومرضاة لطبيعته التي فطرت على الحقد والاجاج فلا تمهلوه أياما ولا تمكنوه أن يقبض زماما اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه *

وحاشاكم أيها الراسخون في العلم أن ترتابوا في خلع رجل سلطانه غصب وأفعاله فسق وأوامره جور وانه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراة جفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك الأجانب بلادا كانت للاسلام عزا وللدين المتين حرزا وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستظلال بلواء الشرك *

ثم أقول ان الوزراء والامراء وعامة الاهالي وكافة العساكر وأبناء هذا (الطاغية) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفد جلدهم) كلمة واحدة حتى يخلعوا هذا الفرعون الذليل ويريحوا العباد من ضره ويصونوا حوزة الدين من شره قبل أن يحل بهم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

(السيد الحسيني)

(يقول محمد رشيد) ان للعلماء من الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأعاجم ما ليس لهم في البلاد العربية وان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه في سائر بلاد العجم فان الحكام ليس لهم عليهم من السلطة هناك مثل ما لغيرهم من حكام المسلمين. وما أزال الملوك والأمراء احترام العلماء ونفوذهم — حاشا ما كان منه مؤيداً لهم ومقوياً لاستبدادهم — الا بما اخترعوه لهم من الرتب العلمية وكساوي الشرف الوهمية وبما جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم. فصار رزق العالم وجاهه الدنيوي بيد الأمير أو السلطان وهما الرمنان اللذان يقودون بهما طالب المال والجاه من العلماء الى حيث شاؤا. فاذا أمكن لطلاب الإصلاح الاسلامي أن يبطلوا هذه الرتب العلمية

وما لها من الشارات ويخرجوا أوزاق علماء الدين من أيدي الحكام فانهم يحررون العلماء من رق يكون مقدمة لاصلاح الامة كلها

الاسلام دين اجتماعي جمع بين مصالح الدنيا والآخرة وقد عبث الحكام المستبدون في أهله باتحال الرياسة فيه على كونهم قد أبطلوا اشتراط العلم الديني وغيره في الخليفة وفي السلطان والوالي بالأولى ثم جعل بعضهم الاحكام والأعمال والمناصب قسمين شرعية خاصة بعلماء الشرع كالقضاء فيما يسمونه الامور الشخصية وغير شرعية وهي سائر الاحكام القضائية والادارية والسياسية ولا يشترطون في عمال هذه الاحكام والأعمال معرفة شيء من أحكام الشرع ولا الأخذ بشيء من أمر الدين كما أنه لا يشترط في الحاكم الاعلى من أمير أو سلطان ان يكون قد تلقى علم التوحيد والفقه فضلاً عن التفسير والحديث . ومع هذا كله يجعل هذا الحاكم رئيساً دينياً ويجعل أمر علماء الدين في يده فهو الذي ينعم عليهم بالرتب العلمية التي يعد بها بعضهم فوق بعض في الدين وعلومه من غير مبالاة بالقاعدة المشهورة التي لا يختلف فيها عاقلان وهي « فاقد الشيء لا يعطيه » فلهذا صار الدين أمراً ثانوياً في أكثر بلاد المسلمين لا يحترم عند حكامه الا بقدر تعلق العامة به على حسب ما عليه العامة كالاحتفال بالمواسم الدينية والمبتدعة

ينهدم ركن من اركان الاسلام كالزكاة فلا يبالي به الحكام الذين جعلوا انفسهم رؤساء الدين ويسكت معهم العلماء عن ذلك فلا يقومون بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سياج الدين لانهم على قسمين قسم مرتبط بالسلاطين والامراء فهم تابعون لهم وقسم لا شأن له فهو يستصغر نفسه ان تقوم بالدعوة الى احياء الدين فاذا عرف لنفسه قيمة وظهر بالدعوة فطفقت العامة تحترمه نفحه الامراء بشيء من الدنانير التي قاموا على خزائنها — وهي للامة لا لهم — وألقوا في عنقه ورأسه طوقا من الفضة او الذهب (علامة الشرف) فكان لهواهم من المنقادين

فلا صلاح للاسلام الا باستقلال العلماء وعدم ارتباطهم في التعلم والتعليم والارشاد ولا في الرزق بالامراء والسلاطين كما تقدم

كتابان سياسيان

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(أو مطالب مصر من انكلترا)

للمستر بلنت الانكليزي المستشرق الشهير كتاب سماه (التاريخ السري للاحتلال) جاء في الطبعة الثانية منه ترجمة كتابين ارسلهما اليه صديقه الاستاذ الامام جوابا عن أسئلة سأله عنها وقد ترجمتهما جريدة اللواء عن الانكليزية الى العربية ونقلهما عنها المؤيد وهذا نص الجريدتان:

سأل المستر «ولفرد سكاون بلنت» المرحوم المفتي رأيه في الحال السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه فأجابه فضيلته على ذلك السؤال في كتاب بعثه له في يوم ٦ مايو سنة ١٩٠٤ هذا نصه

«ان رأيي في الادارة المصرية اذا بقيت الخديوية في عائلة محمد علي هو كما يأتي

١ — أول وأهم قاعدة أساسية في تلك الادارة هو انه يجب أن لا يكون للجناب الخديوي أي سلطة تخوله التداخل في أعمال الهيئات التنفيذية للنظارات ولا ادارة الاوقاف والازهر ولا المحاكم الشرعية بمعنى أنه لا ينبغي أن يجعل لتداخله الشخصي أثر ما في الادارة المصرية مطلقا

٢ — ويجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي بوجه التقريب ولكن على نظام أقوم وترتيب أمثل منه وينبغي أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانكليز في الحكومة المصرية في سلك أعضائه ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة

٣ — وينبغي أن توضع حدود لتداخل السلطات التنفيذية الذي يدعيه الموظفون الانكليز كالمستشارين وغيرهم لانفسهم حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا ارادة لهم ولا رأي يبدونه من تلقاء أنفسهم

٤ — وأن يشكل مجلس ادارة في كل نظارة من النظارات كالمعارف والداخلية مثلا ينتخب اعضاؤه بواسطة المجلس العام المتقدم الذكر وتكون وظيفة كل مجلس من هذه المجالس الادارية البحث في تفصيلات المسائل المهمة ووضع المشروعات والقوانين والنظامات لكل مصلحة من مصالح الحكومة

٥ — وأن يوضع قانون لنظارة المعارف يكون اجباريا بالنسبة للشؤون المتعلقة بالمعارف العمومية والتعليم وينبغي أن يخصص قسم من الدخل العمومي للقيام بنفقات التعليم يكون كافيا لفتح مدارس للتعليم العام وأخرى للتعليم الفني تكفي لسد حاجات البلاد

هذا هو رأيي بوجه عام قد ابديته لكم »

فكتب له المستر « بلنت » بعد ذلك بشهرين يسأله أن يتوسع في آرائه هذه ويضع نموذجا للدستور المرغوب دخاله في مصر فأجابه الى مسألته بعد طول روية ومشاورة أصدقائه في ذلك وأخذ آرائهم في هذا السؤال وسؤال آخر عرضه عليه المستر بلنت أيضا يتعلق بما ينبغي أن يتخذ من الاحتياطات ضد ما يتوقع حدوثه من عدم ثقة الجناب الخديوي بالدستور كما وقع على عهد المغفور له والده عما قضى على الآمال الوطنية واستفسر منه أيضا عما اذا كان من الممكن أن يقبل المصريون تعيين أمير أوربي بصفة وال تحت سيادة جلالة السلطان اذا صعب الحصول على أمير من العائلة الخديوية متشبع تشبعا تاما من الافكار الدستورية

فأجاب المرحوم المفتي على جميع ذلك بالكتاب الآتي

صديقي العزيز المحترم

أهديك عظيم تحيتي وأعتذر لك عن ابطائي في الرد على كتابك المؤرخ في ٨ يونيه فاني كنت مشغولا جداً بالامتحان في مدرسة المعلمين والازهر وغيرهما ولم أجد وقتاً خالياً لاجيبكم فيه على كتابكم هذا لا سيما وان موضوعه دقيق للغاية ويحوجه مزيد تروٍ ودقيق نظر

وقد فكرت طويلا وتذاكرت مع بعض أفاضل المصريين فوجدتهم مجمعين على أن من أول الضروريات لحسن الادارة المصرية هو قيام الحكومة

الانكليزية بصيانة النظام في البلاد وكفالته ومعنى ذلك أنها تراقب استتبابه والمحافظة على استمراره وعلى الدستور الذي يمنح مصر وان لا تدع ذلك الدستور عرضة لتداخل الخديويين

ومتى تمت هذه الصيانة ومنح الدستور لا تبقى حاجة الى نزع سلطة الحكم من عائلة محمد علي ولا الى تعيين أمير أوروبي لا سيما وان تعيين أمير أوروبي لا يصادف قبولا من الاهالي ولا يساعدهم على تحسين حالتهم

أما من جهة الدستور فينبغي أن يراعى فيه ما سأذكره الآن من المسائل الآتية بصفة خاصة

١ أن تناط جميع شؤون الحكومة بسلطة أو اخرى (كذا) من السلطتين الآتيتين :

أولا — تناط بسلطة تشريعية تسن القوانين الادارية والقضائية

ثانيا — تناط بسلطة تنفيذية تكلف بتنفيذ تلك القوانين وان تحصر السلطة التشريعية في مجلس نواب أو وكلاء يزيد عدد اعضائه عن اعضاء مجلس الشورى الحالي وتكون دائرة اختصاصاته الحالية بحيث تحترم قراراته وتكون واجبة التنفيذ وأن لا يسمح للوزراء بعدم احترامها ومراعاتها مهما كانت ظروف الاحوال

وهذا المجلس هو الذي يسن القوانين كافة وتنتخب الوزارة من بين اعضائه

وان تحصر السلطة التنفيذية في الوزارة التي تخول حق تقديم مشروعات القوانين بحيث لا تستأثر بسنها وحدها لان حق سنها هو من اختصاص مجلس النواب

٢ وان تناط جميع مسائل الحكومة التي ليس لها ارتباط بسن القوانين بالوزارة بما في ذلك منح الرتب والنياشين وأن لا يترك من اشغال الحكومة شيء مطلقا للجناب الخديوي وأن يناط بها أيضا أمر المصالح المختصة بالتعليم الديني وغيره والمحاكم الشرعية والاهلية وتوزيع الرتب والنياشين دون أن يسمح لسموه بأي تداخل فيها مطلقا

---

٣ واذا فرض وكان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من المصريين فانه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون

سلطة تسمح لهم بان يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد ألعوبة في أيديهم كما هو الحال الآن

ويقتضي أن تلغى وظائف جميع المستشارين الاكفاء بهؤلاء الوزراء وفي هذه الحالة تقضي الضرورة بان يكون رئيس الوزراء مسلما بحيث يكون مركزه الرسمي محدودا بوظيفة الرئاسة دون أن يشغل رئاسة نظارة من نظارات الحكومة

٤ وان يكون جميع الموظفين الآخرين في الحكومة من المصريين أعني أن المديرين ووكلاء المديريات وقضاة المحاكم الاهلية ابتدائية كانت أو استئنافية وأعضاء النيابة وغيرهم يكونون مصريين ويجوز تعيين انكليز كمفتشين وتعيينهم أيضا في بعض وظائف في المصالح الهندسية والمعارف وفي الوظائف الصناعية التي يحتاج الامر فيها الى معارف خاصة حين لا يوجد فيه مصري تتوفر فيه الاحاطة بتلك المعارف الفنية

على أنه يجب على كل حال أن يحضر عمل أولئك الموظفين الاجانب فيما هو داخل ضمن دائرة اختصاصاتهم فقط وأن يكونوا خاضعين لمراقبة الوزراء بحيث لا يخولون أقل سلطة ادارية أو قضائية تفضي الى اضعاف نفوذ الموظفين المصريين

(٥) وان يخول أعضاء مجلس النواب الحق في أن يسألوا النظار عن تنفيذ القوانين وينتقدونهم على ما يفرط منهم من الخطأ أو يقع من الخلل في الاعمال ويحتم على النظار أن يبينوا أسباب ما يقومون به من الاعمال واذا وقع خلاف بين النواب والنظار يوكل أمر حل ذلك الخلاف الى لجنة تشكل من خمسة أعضاء من مجلس النواب ينتخبون بالاقتراع السري وخمسة آخرين من أعضاء محكمة الاستئناف ينتخبون مثلهم بالاقتراع السري ورئيس المجلس ورئيس النظار ورئيس محكمة الاستئناف ويكون حكم هذه اللجنة بالاغلبية المطلقة

ويجوز زيادة أعضاء هذه اللجنة باضافة أعضاء آخرين عليها من مجلس النواب ومحكمة الاستئناف

وأني أعتقد انه اذا وضع نظام دستوري على هذا النمط وضمنته الحكومة

الانكليزية لقام بحاجة البلاد ولنالت حكومتها استقلالا لم تعرف له مثيلا

وينبغي أن لا ننسى اعادة تنظيم شؤون المعارف والتعليم فان هاتين المسألتين هما من أهم الأمور التي يبدأ مجلس النواب بمباشرة الاشتغال بها الامضاء

محمد عبده

وبعد فراغه من هذا الكتاب وضع في ذيله الحاشية الآتية

قد نسيت أن أتكلم على الحربية فأقول ان السردار الانكليزي وبعض ضباط الانكليز يقومون في الجيش المصري ولكن يجب أن يشغل المصريون ما بقي من وظائف الجيش واذا فرض وقامت بعض صعوبات بشأن ذلك ورأت الحكومة الانكليزية وجوب وجود قواد انكليز فيه أعني « باشاوات » فلا ضرر في ذلك

قول المنار في الكتابين

قد كثر حديث الناس في هذين الكتابين لما نشر في جريدة اللواء ثم المؤيد وغيرهما ثم اتسع مجال الآراء فيهما بعد أن استنبط اللواء منهما ما استنبط ولخصهما المؤيد بما لخصهما به وزعم أن ما لخصه هو رأي الكاتب وناهيك بتقليد الجرائد في دهماء هذه البلاد

قال المنتقدون ان الكتابين يدلان على بغض كاتبهما للأسرة الخديوية كافة وللأمير الحاضر خاصة . وقالوا ان فيهما تحسينا للظن بالانكليز وقالوا بل فيهما مشايعة لهم . وقالوا هذا رأي الكاتب في الدستور المصري وأطلقوا أي انه لو كان الامر كله بيده لرضي لبلاده بما كتبه فيهما . وقالوا ان كاتبهما على غير بينة بالقوانين الاساسية للأمم . وأغرب ما قالوا وما كتبوا هو ما أنبأ عن استنكارهم سلب السلطة الشخصية من الخديويين بحصر السلطة في مجلس النواب ومجلس الوزراء!! وهم من هم المستنكرون لذلك ؟ هم الذين يزعمون انهم طلاب المجلس النيابي والحكومة الدستورية لمصر !!! يالله العجب

وقد استحسن كثير من العقلاء المستقلين المطالب التي في الكتابين واستدلوا بهما على غيرة كاتبهما على بلاده وأهلها وسعيه في اصلاح حالها سرا وجهرا من كل

طريق وكل منفذ . وأنذر آخرون صحة نسبة الكتابين الى الاستاذ الامام وقالوا انه ليس فيهما شيء من روحه ولا من أسلوبه

وانا نبين حقيقة معناها الذي حرفته الاهواء عن موضعه الذي وضعته فيه الظروف والاحوال بعد تمهيد نمهده لذلك فنقول :

(١) ليعلم القارىء قبل كل شيء ان ما نشر في الجرائد ليس هو الذي كتبه الاستاذ الامام بل هو ترجمة لأحد محرري جريدة اللواء عن الانكليزية . وما في الاصل الانكليزي مترجم عن العربية . فاذا ظهر الاصل العربي الذي يقول حافظ فندي عوض انه رآه عند مؤلف الكتاب يكون مراد الكاتب أظهر وأصح والحكم عليه أعدل

(٢) ان المراد منهما لا يفهم تمام الفهم الا بترجمة ما كتبه المستر بلنت الى الاستاذ الامام بالحرف لأن الفتوى تكون على حسب السؤال كما هو مشهور ومعروف

(٣) قد علم مما كتب اللواء والمؤيد أن موضوع سؤال مستر بلنت يتعلق « بالحالة السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه » فما رآه كان خاصا بتلك الحالة التي أمنت فيها انكلترا معارضة أوربا لها في مصر . فاذا تذكرنا أن كل ما فعلناه من مقاومة الاحتلال ايام كان ضلع أوربا كلها معنا ولا سيما فرنسا لم يزده الا قوة ورسوخا فاننا يمكن ان نعقل ان تلك المطالب التي طلبها الاستاذ الامام بعد اتفاق أوربا مع الاحتلال علينا كانت كبيرة جدا وان الانتقاد على هذه المطالب ينبغي ان يكون محصورا في كثيرها أو عظيمها حتى جعلت نجاح انكلترا بوفاق ابريل ١٩٠٤ نجاحا لمصر وحرمانا لانكلترا من معظم ما كان لها من النفوذ والسلطة

(٤) ذكر اللواء فالمؤيد من موضوع سؤال بلنت كلمة « الدستور المردوم إدخاله في مصر » فعلم أن هنالك مشروعا للدستور يعد في انكلترا فما هو وما موضوعه ؟ أوليس هذا نصا في الموضوع صريحا في أن ما كتبه الاستاذ الامام في جواب مستر بلنت ليس مشروعا وضعه لما يجب أن يكون عليه بلاده مطلقا بل هو مطالب وتعديلات لدستور معين يبحث فيه الانكليز أنفسهم ؟ ونحن الى الآن

لم نقف على مشروع دستوري لهم الا مشروع نورد كروص بانشاء مجلس تشريعي لمصر مؤلف من جميع الاجانب . وهل يمكن حينئذ أن يطلب لمصر من انكلترا أكثر مما طلب الاستاذ الامام ؟ وقد تقدم أن ما طلبه كثير

(٥) ذكر اللواء فالمؤيد أن مستر بلنت سأل الاستاذ الامام بالتصريح عما ينبغي اتخاذه من الاحتياطات لمنع ما يتوقع حدوثه من عدم ثقة الخديوي بالدستور كما وقع في عهد والده أي بأن يكون الدستور مأمونا عليه من حل الخديوي له بله تصرفه فيه باسمالة أعضائه الى ما يريد بالرشوة والنياشين أو بغير ذلك . وهذا السؤال لا يعقل له وجه الا اذا كان واضعو مشروع ذلك الدستور لا يرضون أن يكون للخديو يين سلطة عليه بل لا يعقل وجود دستور حقيقي يكون عرضة لعبث السلطة الشخصية به . وهل يمكن أن يجاب عن هذا الا بتعهد انكلترا بحماية الدستور والحال ان انكلترا هي الواهبة له لتأمن بحسن الادارة المصرية تحت مراقبتها على طريق الهند وتنال هي شرف إصلاح مصر وتنظيمها ؟

(٦) ونقل اللواء فالمؤيد أن مستر بلنت سأل أيضا هل يقبل المصريون تعيين وال اوربي عليهم تحت سيادة السلطان ؟ وهذا السؤال مبني على عدم ثقة أولئك المشتغلين بمسألة الدستور المصري بحكم الامراء الشرقيين الذين يعتقدون أنهم أشربوا في قلوبهم الاستبداد حتى لا يكاد يوجد فيهم من يميل الى الحكم الدستوري ويرغب فيه . فهل تنتقد إجابة الاستاذ الامام عن هذا السؤال بأنه لا حاجة الى حاكم اوربي مع وجود الدستور المضمون ومنع الخديويين من السلطة الشخصية ؟ وهل من الانصاف والحق أن يعد طلبه إبقاء الامارة في بيت محمد علي دليلا على بغضهم ؟ ؟ وهل ينكر عاقل الاحتجاج على من يريدون تولية أمير أوربي علينا بكوننا لا نقبل ذلك وكونه هو لا يمكن أن يساعدنا على تحسين حالنا ؟ ما أغرب الرأي الذي يمليه الهوى وتروجه الأغراض الخسيسة

﴿ تلخيص المطالب التي طلبها الاستاذ الامام لمصر ﴾

من الانكليز فيما كتب الى مستر بلنت

(١) أن يكون لمصريين مجلس نيابي تنحصر فيه السلطة التشريعية أي وضع القوانين كلها ويكون له حق سؤال الحكومة عن تنفيذها ومحاسبتها على خطأها

(٢) ان يكون للمصريين سلطة تنفيذية وهي الوزارة المسئولة وتناط بها جميع امور الحكومة لا يترك منها للخديو بن شيء خاص باشخاصهم كما هو شأن الحكومة النيابية في أوربا لا سيما انكلترا

(٣) ان يكون رئيس الوزراء مسلما لا كما كان من قبل تارة وتارة

(٤) ان يكون جميع موظفي الحكومة — من المديرين ووكلاء المديريات والقضاة ورجال النيابة وغيرهم — من المصريين بحيث لا يبقى من موظفي الانكليز الا بعض المفتشين ومن لا يوجد مصري يقوم مقامه في عمله

(٥) تنظيم شؤون المعارف والتعليم وجعلها أهم الامور التي يبدأ مجلس النواب بها

(٦) قيام المصريين بجميع وظائف الجيش بحيث لا يبقى فيه من الانكليز الا السردار وبعض الضباط

(٧) الغاء وظائف المستشارين المسيطرين على الحكومة الآن

(٨) على انكلترا ان تكفل هذا الدستور وتضمن تنفيذه بايدي المصريين. وفسر ذلك بأن تراقب استتبابه والمحافظة عليه مراقبة فقط حتى لا يبطله الخديويون

هذه هي المطالب الايجابية الاصلية وانى لمصر بالوصول اليها والى الآن لم تطمع الاحزاب بمثلها فلم يطلب حزب ولا جريدة شيئا يتعلق بالعسكرية ولا يعقل احد كيف يكون الاستقلال الحقيقي بدون جند وطني يقوم بشؤونه الوطنيون

وهناك مطلوب مهم مبني على فرض وقوع شيء لا يؤمن وقوعه مادام للانكليز شأن في سلطة البلاد بل قد وقع مثله في عهد اسماعيل باشا وهو جعل بعض الوزراء من الانكليز. طلب الاستاذ على فرض وقوع ذلك ان يكون للمصريين والوزير الانكليزي من المصريين سلطة يفصلون بها في المسائل المتعلقة بالدين وما أشبه ذلك ولا يكونوا آلة في ايدي رؤسائهم من الانكليز. وهذا مطلب لسنا ندركه اليوم فانه لا يمكن لرئيس ولا مرؤوس في الحقانية ان يجري في المحاكم الشرعية امرا لا يرضاه المستشار القضائي.

واغرب ما سمعت من بعض الاغرار « البسطاء » أن الكتابين تضمنا طلب جعل بعض الوزراء من الانكليز فلما قيل له انه ليس فيهما شيء من ذلك وانما فيهما مطلب مهم مبني على فرض وقوع ذلك بالرغم منا قال انه ما كان ينبغي ذكر هذا الفرض والتقدير لانه يذكرهم بهذا الامر !! فتعجب ايها القاري من هذه السذاجة والغرارة والغفلة عن الواقع والاهتمام بالالفاظ دون الحقائق :

ومما تقدم من البيان يعلم القارئ أنه ليس في الكتابين شيء ينتقد . وقد سمعت اشهر اعضاء الحزب الوطني حمامة واخلاصا يقول انه ليس فيهما شيء ينتقد الاجمل انكلترا كافلة للدستور لان هذا بعض الحماية ولكننا لا نشك لاجله في اخلاص المرحوم الشيخ . فقلت له كان يصح أن يقال هذا لو كانت هذه الكفالة من مواد الدستور وكان الدستور مصدقا عليه من الدولة العلية فيكون حينئذ حقا رسميا لها . وليس فيما كتب شيء من ذلك وانما الموضوع ان تسمح لنا انكلترا بهذا الدستور وتكتفي هي من القبض على أزمة السلطة فينا بمراقبة سيرنا على الدستور والنظام المطلوب ولا تسمح للمخربين ان يغيروه اذا حاولوا ذلك . ومعلوم أنها لا تسمح لهم الآن بتغييرنا في التشريع ولا مداخلة ما في التنفيذ مع قبضها على كل شيء وعدم تحملها تبعة شيء فأي الامرين أفضل ؟!

وعلى ذكر رأي عضو الحزب الوطني ان تلك العبارة التي انتقدها من الكتابين لا تدعو الى الشك في اخلاص الكاتب : نشبه الى سيئة فاشية فينا هي من اقبح السيئات واشدها ضررا في الامة الا وهي اتهام كل من نراه أخطأ في مسألة من المسائل العامة بسوء النية وعداوة البلاد وبغض الامة وحب الانكليز ومساعدتهم على ما يقصدون بنا من السوء !! وتفرع عن هذه السيئة سيئة اكبر منها وهي اختراع بعض الناس الخطأ او تكلفهم استنباطه من كلام من يكرهونه لاجل إلصاق تلك التهمة به .

فشر هذه السيئة مع اختها اعظم اسباب تفرق الامة وضعفها وانقسامها على نفسها « كما يقولون » لا سيما بعد توجيه الجرائد هذه التهمة الى الجماعات والاحزاب وليت شعري اي فتنة لهذه الامة اذا صح ما ترجف به بعض الجرائد من اتهام

حزب الامة برمته بعدم الاخلاص للامة وبمشايعة المحتلين عليها بعد الارجاف بان ذلك النابغة العظيم « الاستاذ الامام » الذي اعترف بنبوغه الشرق والغرب كان غير مخلص للامة او لا يعرفها ؟ بل أي تعريض بالأمير اشد من اثبات ان نابغي المستقلين يحاربونه وان جمهورا كبيرا من سراة الامة يؤلف حزبا وينشئ جريدة لمقاومة نفوذه ؟!!

قد يقول سائل ان المنار قد ابرز هذه المطالب باسلوب يظهر منه ما لم يظهر من ترجمة الكتابين على كونه لم يأت بشيء جديد فلا كتب المرحوم المفتي كتابيه بهذا الاسلوب الذي يتجلى فيه الاخلاص لمصر والتفاني في خدمتها دون ذلك الاسلوب الذي يلوح منه ارضاء الانكليز واسترضاؤهم ان لم نقل محاباتهم

وجوابه من وجهين « احدهما » اننا لم نطلع على ما كتبه المرحوم بنفسه فنحكم على اسلوبه « وثانيهما » انه لم يكتب ليمتن على قومه بحبهم لهم ومقاومته لمحتلي بلادهم ولا ليظهر للانكليز انه مبارز لهم وانما كتب لصديق له يسعى في خير مصر . على انه لو كتب للحكومة الانكليزية نفسها لوجب عليه في شرع البلاغة ان يجعل تلك الكتابة باسلوب يرجى قبوله وعدم اتهام صاحبه بالعداء والمقاومة ولكل مقام مقال

رأى أحد الملوك في النوم ان اسنانه سقطت فعبر له الرؤيا معبر بقوله ان جميع اهلك واقاربك يموتون في حال حياتك فاستاء الملك وعاقبه عقابا شديداً . ثم جيء بمعبر آخر فقص عليه الرؤيا فقال له تأويل هذه الرؤيا ان الملك يكون اطول اهله عمرا : فسر الملك واجازه اجازة سنية . فالبليغ يخاطب كل مخاطب بما يرجو ان يبلغ به مراده من نفسه

فمن اصحاب الجرائد من يطلب من الانكليز مطالب بصيغة الآمر صاحب صاحب السلطان وما مراده الا ارضاء من يقرأ هذه المطالب فيحمد كاتبها ويجله لانه استعلى على بريطانيا العظمى فأنالى الامة من الاستعلاء عليها بالقول ما تلهو به عن الفخر بالاستعلاء أو المساواة بالفعل . ولكنه لا يخطر في باله الاسلوب الذي يمكن ان يكون مقنعا او مقبولا عند الانكليز لانه لا يريد منهم شيئا

لو كان الاخلاص والغيرة على قدر كبر المطالب وان كانت من المحال ، والتعزز على القوي ينحقق بزخرف وان كان غرورا لامكن كل كاتب ان يكتب كل يوم في اثبات اخلاصه وغيرته وتعززه نحو هذه العبارة : إني آمرك ايتها الدولة الانكليزية الظالمة المعتدية بان تردي مصر الى المصريين وتقرض الى الدولة العلية بل ان تردي الهند الى النوابين والرجاوات من اهلها وان تأرزي الى جزائرك كما تأرز الحية الى جحرها . فان لم تحفظي شرفك وتمتثلي هذا الامر فانا نتفق مع بعض أعضاء برلمانك فنؤلف منه لجنة تشاغب المجلس أحيانا في هذه المطالب فتهزه هزا ، وتوزه أزا ، او تهز الشعور الوطني في هذه البلاد هزة تعيد لها جزائر بريطانيا ميدانا ، وتزلزل زلزالا ، ربما كان من ورائه البلاء النازل ، والخسف العاجل ؟ ؟

رأي الاستاذ الامام في السياسة

(أو سياسته)

في مصر افراد من الكتاب يبغون العلو والرفعة بالغلو في دعوى حب الامة والتفاني في خدمتها بمقاومة المحتلين بالكلام ومن هؤلاء من كبر عليه ماناله الاستاذ الامام من علو المكانة بعلمه وحكمته وخدمته للملة ومنهم من يثقل عليه ان يجعله بعد وفاته خلق كثير فهؤلاء يريدون ان يخدشوا ذلك الصيت الحسن والشهرة الشريفة ليرفعوا انفسهم ويحطوا من قدر جماعة ذلك الامام العظيم ولم يجدوا بابا اوسع من السياسة التي يكثر فيها الايهام وتسهل فيها الدعوى ويقبل على مائدتها كل طفيلي يطرد عن مائدة العلم والحكمة . وجد بعض هؤلاء في الكتابين متسعا للقيل والقال ومشاغبة حزب الامة لان رئيسه وكبار المؤسسين له كانوا من اصدقاء الاستاذ الامام والذين لا يزالون يصرحون باجلاله وبكونهم انشأوا الجريدة عملا برأيه

رأى مناهضو هذا الحزب انه يستفيد مما ذكر قبل مريدي الاستاذ الامام وهم أرقى الامة عقلا وعلما وبلاغة فمنهم العظماء والوجهاء والمدرسون والكتاب والشعراء فارادوا ان يخرجوه ليتبرأ من الانتماء الى الاستاذ الامام في سياسته